الخليفة هارون الرشيد
(دراسة تحليلية)

د.حسّان صدّيق الفاضل

أستاذ مُشارك - قسم الدراسات الاسلامية
كلية التربية - جامعة الزعيم الأزهري

مستخلص:

تهدف هذه الورقة الى القاء الضوء على شخصية الخليفة هارون الرشيد ، واظهار جوانب القوة والعظمة في حياته ، تلك التي جعلت منه ان كان اميز خلفاء بني العباس . فهو وحده الذي سقى جيوش البيزنطينيين كئوس الهزيمة ، اضافة الى ما كان عليه من القوة في الدين والبسط في العلم . تبرز اهمية هذه الورقة في انها تكشف اللثام على ما انطوت عليه شخصية هارون الرشيد من جوانب الغموض وتزيل مظاهر الظلم التي نسبت إليه زورا ، فكان اكثر الشخصيات التاريخية تعرضا للنقد والطعن والدس في سيرته . سلكت في كتابة هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي .وخلصت في الختام الى جملة من النتائج كان من ابرزها : يعد هارون الرشيد من. اميز خلفاء بني العباس ، واجل ملوك الدنيا ، واكثرهم ورعا وتقوى واجتهادا في العبادة . هارون الرشيد رجل قوي الشخصية ، مهاب في نفوس الاعداء ، عابد ورع مطيع ، وعالم جليل عامل بعلمه ، اسس دعائم النهضة العلمية وارسى قواعد الحضارة الاسلامية .

Abstract:

The aim of this paper is to shed light on the personality of the Caliph Harun al-Rashid, and to show the aspects of strength and greatness in his life, which made him the most distinguished caliphs of Bani al-Abbas. He was the only one who watered the Byzantine armies with the cups of defeat, in addition to the strength he had in religion and the breadth of knowledge. The importance of this paper is that it reveals the ambiguity of the personality of Harun al-Rashid and removes the manifestations of injustice that were falsely attributed to him. In writing this research, I used the descriptive analytical method.In the end, I concluded with a number of results, the most prominent of which were: Harun Al-Rashid is considered one of the. I distinguish among the caliphs of Banu al-Abbas, the most honorable of the kings of this world, and the

most pious, pious and diligent in worship.Harun al-Rashid is a man of strong character, feared in the hearts of enemies, a pious and obedient worshiper, and a great scholar who worked with his knowledge, who laid the foundations of the scientific renaissance and laid the foundations of Islamic civilization

مقدمة:

تعتبر شخصية هارون الرّشيد شخصية عصر أكثر ممّا هي شخصية إنسان , فما انطوت عليه شخصيته من جمال الخصال , وما جمعته من عظام الصّفات جعل الرّشيد شخصية فريد نادرة . ولعل من أبرز دواعي لاختيار هذا الموضوع توضيح الدّور الرّيادي للقائد هارون الرّشيد , وبلاؤه العظيم في نشر الدّعوة الإسلامية حتّى نالت دعوة الإسلام في خلافته حظّها الأوفى من القوة والانتشار .

وكانت هذه الإنجازات بمثابة الشّرارة الّتي اشعلت روح الطّعن والنّقد حول هارون الرّشيد , فرصد الأعداء هفواته وضخّموها , ونسجوا حولها وجسّموها , وصبّوا عليها سيولا من الظّنون والتّهم والافتراءات , كما أثيرت حوله القصص ونُسِجت الرّوايات الباطلة وحِيكت الاتهامات , فأخذوا عليه ما لم يقله ونسبوا إليه مالم يفعله .

وجاء دور العلماء الّذين انبروا للنُصرة ودفع الأذى عن الرّشيد , وسرعان ما بان وجه الحقيقة وبطلت تلك الرّوايات والقصص واحدة بعد الأخرى , فرُدّت رواية زواج الرّشيد أخته العبّاسة لجعفر البرمكي , وبطلت التّهمة بمعاقرة الرّشيد للخمر , فجميع ما قيل خلا من السّند وبطلت بذلك المرويات وبطل مضمونها .

والحق أنّ الرّشيد عاش معمراً للأوقات - في طاعة الله - يحجّ عاما ويَغْزو عاما , ويقوم الليل ويتصدّق من صُلب ماله بجُعلٍ وافي .

الأمور الّتي نُقِمت على الرَّشيد:

كانت شخصية الخليفة هارون الرّشيد من أكثر الشخصيّات التّاريخية تعرّضا للنّقد والطّعن والكذب والدّس في سيرته , فتعرّض للجرح في حياته , والاتهام في سلوكه مالم يتعرّض له أحد سواه من الخلفاء , وأُثيرت حوله الافتراءات وحِيكت عليه الاتهامات ومن أبرز اتهامات أهل الزّور للرّشيد.

قصّة العبّاسة وجعفر البرمكي :

ذكر الطّبري : أنّ سبب هلاك جعفر البرمكي أنّ الرّشيد لا يصبر عن جعفر وعن أخته العبّاسة بنت المهدي , وكان يحضرهما إذا جلس للشّرب .....

ثـمّ يقـوم عـن مجلسـه ويخليهمـا فيثمـلان مـن الـشّرب وهمـا شـابان , فيقـوم جعفـر فيجامعهـا فحملـت منـه وولـدت غلامـا , فخافـت عـلى نفسـها مـن الرّشـيد حتّـى وقـع بـين عبّاسـة وبـين بعـض جواريهـا شر فأنهـت أمرهـا وأمـر الصّبـي إلى الرّشـيد .....[1] وتابـع المُؤرّخـون آثـار الطّـبري مـن بعـده في روايـة هـذه القصّـة , فقـال ابـن الأثـير في سـياق حديثـه عـن إيقـاع الرّشـيد بالبرامكـة ذات القصّـة المجـرّدة عـن السّـند [2] . وجـاء ابـن كثـير فقـال : مـن العلمـاء مـن أنكـر ذلـك , وإن كان ابـن جريـر قـد ذكـره [3] .

اتّهام الرّشيد بشُرب المسّكِر :

كما روّجت كتب الأدب القديم بفرية على الرّشيد هي أم المفتريات ورأس الكبائر , زعموا : أنّه كان يتعاطى الخمر , ويسكر مع النّدماء , وأبرزوه – على صفحات التّاريخ – في صورة العربيد الّذي لا يفيق [4] . وكان أبو فرج الأصفهاني من القُدامى اللّذين تولّوا كِبر هذه الفرية , وقال بشُرب خليفة المسلمين هارون الرّشيد للمسّكِر في مجالسه وأوقات منادمته [5] . وأضاف أبو فرج الأصفهاني يصف تعلّق الرّشيد بالخمر والخمّارين – حسب الزّعم الباطل – ومحبته لإبراهيم الموصلي , الذي أصبح من روّاد بلاط الرّشيد ومنادميه حيث قال : أنّ الموصلي لزم خمّارا ثلاثة أيام لا يُعرف مكانه , ثمّ عاد ليواجه غضب الرّشيد بحكاية عن الخمّار وظرفه وسخاء نفسه , وأردف ذلك بأبيات قالها في الخمّار , ثمّ غنّاه فيها صوتا زمّر عليه برصوما , فطرب الرّشيد , ووصل الخمّار والموصلي [6] . وبذا فقد فتح الأصفهاني أبواب الفتنة بالطّعن في حياة الرّشيد لأرباب النّقد وأصحاب الهوى , اعتمادا على مثل هذه الرّوايات القصصيّة بلا سند ولا دليل , حتّى جاء دعاة الاستشراق وتبنوا القضية وانبرى { ول ديورانت } وتولّى الحملة يتهم الرّشيد بشُرب الخمر فقال : ..... يقال أنّه كان يشرب الخمر , ولكنّه لم يكن إلاّ سترا مع عدد قليل من خاصة أصدقائه ..... وكان أحبّ رفاقه إليه الشّاعر الماجن أبو نوّاس , وكان كثيرا ما يغضب على أبي نوّاس لسفه وسوء سيرته , ولكن كان في كل مرّة يصفح عنه لجودة شعره [7] .

مجالس اللّهو والطّرب :

ومـن الأمـور الّتـي نُسِـبت إلى هـارون الرّشـيد بالافـتراء والباطـل : الحديـث عـن وصـف مجالـس اللّهـو والمجُـون الّتـي كانـت تُعقـد في قـصره إلى طلوع الشّـمس حتّـى التصقـت قصّـة ألـف ليلـة وليلـة بحيـاة الرّشـيد [8] . أمّـا أيـن يُعقـد مجلـس المُنادمـة ؟ قالـوا : ذلـك أمـر مرتبـط بإقامـة الرّشـيد , وقـد عـاش الرّشـيد متنقّـلا لا يعـرف الاسـتقرار . ذكـر صاحـب الأغانـي : تحمّلِـهِ فجـاءة إلى دار إبراهيـم الموصـلي في إحـدى اللّيـالي حيـث طـرب وشرب [9] . ويصـوِّر صاحـب الأغانـي طبقـات المُنادمـين للرّشـيد في مجلـس واحـد , لا تحجبهـم سـتارة أوأيـوان , بحيـث يـرون الرّشـيد مـن غـير علـم منهـم برؤيتـه , قـال الرّشـيد للحـارث بـن بسُـخُنّر : قـد اشـتهيت أن أرى

ندمائي ومن يحضر مجلسي من المغنين جميعا في مجلس واحد يأكلون ويشربون .....ومن غير علم برؤيتي إيّاهم , فأعِدّ لي مكانا أجلس فيه أنا وعمّي سليمان وإخوتي إبراهيم بن المهدي وعيسى بن جعفر وجعفر بن يحي [10] .وجاء رواة القصص المُحدِّثين وساروا على درب من قد سبقهم في وصف مجالس الغناء بحضرة الرّشيد , وزعموا أنّه من المُدمنين سماع الغناء , والاشتغال به والتّفرّغ لحضوره . قال { ول ديورانت } : ..... قد جمع حوله في بغداد عددا عظيما من الرّاقصات والرّاقصين , والغنّايين , والفكهين , والمرحين , وكان ينقد أعمالهم وأقوالهم نقد العالم الخبير , صاحب الذّوق السّليم ويجزيهم عليها بسخاء [11] .

ازْدِواج شخصية هارون الرّشيد عند قُدامى المُؤرِّخين :

ممّا لا شكّ فيه أنّ مصادر التّاريخ الموثوقة قد أمدّتنا بأبرز جوانب الصّلاح والفلاح في حياة هارون الرّشيد , ولكن لم يخلو بعضها من صور الطّعن والتشويه بالجمع بين الصّفات المُتناقضة في سلوك الرّشيد , وإيراد التَّضادات في السلوكيّات , ومن هؤلاء :

-1ابن جرير الطّبري : فإنّه قال عن الرّشيد : كان يقتفي آثار المنصور ويطلب العمل بها إلاّ في بذل المال , فإنّه لم يُر خليفة قبله كان أعطى منه للمال , وكان لا يضيع عنده إحسان مُحسن , ولا يُؤخِّر ذلك في أول ما يجب ثوابه . وكان يحب الشّعر والشّعراء , ويميل إلى أهل الأدب والفقه ويكره المِراء في الدّين ..... [12] . بينما أورد الطّبري – فيما سبق – قصّة العبّاسة وجعفر البرمكي بلا سند ,وتابع المؤرِّخون آثاره في رواية هذه القصّة من بعده .

-2ابن الأثير صاحب (الكامل في التّاريخ) : ذهب في هارون الرّشيد مذهبا ماديا بحتا ,جمع بين الثّابت والصّحيح من الأقوال , وبين ما أثير حوله من الرّوايات المدسوسة , دون إجراء موازنة تحليل السّند , أو معرفة رواته على ضوء كتب الجرح والتعديل , كتب ابن الأثير عن هارون الرّشيد – وهو حديث عهد به – فأجمل فيه القول وأحسن , قال : ..... كان يحجّ عاما ويغزو عاما , ويصلّي كل يوم مائة ركعة , ويتصدّق من صُلب ماله كل يوم بألف درهم ..... [13] . ورصد أخبار مغازيه للصّوائف والشواتي في المشرق الإسلامي وفي بلاد الرّوم , لكنّه تجاوز ذلك إلى مالم يُمكن تصوّره من استحالة الجمع بين المتضادات وإيراد المُتناقضات , وفي معرض حديثه عن نكبة البرامكة قال : وكان سبب ذلك أنّ الرّشيد لا يصبر عن جعفر وعن أخته العبّاسة بنت المهدي , وكان يحضرهما إذا جلس للشرب ..... [14] .

ومن هذه النّماذج تبيّن أنّ مصادر التّاريخ الموثوقة قد جمعت بين

سيرة هارون الرّشيد الحقيقية وبين صورته الخيالية , وعلى ذلك تتبّع التّلاميذ مشايخهم في نقل الأخبار .

دَحضُ الافتراءات وتبْرئة الرَّشيد

ومن خلال عرض هذه الرّوايات ومناقشتها تبيّن أنّ ابن جرير الطّبري روى قصّة العبّاسة أخت الرّشيد , وزواجها الصّوري من جعفر البرمكي نقلا بلا سند , وهو الذي قال في مقدّمة تاريخه : ..... فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين ممّا يستنكره قارئه أو يستشنعه سامعه , من أجل أنّه لم يُعرف وجها في الصّحة , ولا معنى في الحقيقة , فليعلم أنّه لم يُؤت في ذلك من قِبلنا , وإنّما أتي من قِبل بعض ناقليه إلينا , وإنّا إنّما أدّينا ذلك على نحو ما أدّي إلينا [15]

وبذا يُؤكّد الحافظ الذّهبي بطلان قصّة العبّاسة وجعفر البرمكي وعدم صحتها قائلا : روى الطّبري القصّة عن أحمد بن زهير , عن عمّه زاهر بن حرب , وهما لا يُعرفان , والقصّة لا تصح [16] . وذهب ابن كثير إلى مذهب مناقضة ابن جرير في الرّواية لكنّه اعترف أنّ العلماء أنكروها وابن جرير ذكرها [17] .

ومن خلال مناقشة الرّواية فيما ذكر الطّبري ..... أنّ الرّشيد كان لا يصبر جعفر وعن أخته العبّاسة ..... وأنّها حملت من جعفر وولدت له صبيا أرسل إلى مكة .... تبدو المفارقة , إذ كيف يكون ذلك وهي تُجالس الرّشيد كلّ يوم ؟ ولم ير دلائل الحمل وهو يتفقّد أفراد أسرته حتّى أنّه يُوقظهم لصلاة الفجر ؟ وكيف تكون العبّاسة تزوّجت بجعفر زواج صوري ولم يثبت أنّها عاشت بلا زوج عدا فترات العِدّة بين زوج وآخر ؟ وكيف أقدم علماء الرّشيد من حوله على تجويز هذه الزّيجة ؟ بل كيف باركوا عقد أمرها ؟ وهم أهل الحلّ والعقد والتّحليل والتّحريم ؟ .

وقد جاء في أعلام النّساء : كانت عُلية حسنة الدّين , وكانت لا تُغنّي ولا تشرب النّبيذ إلاّ إذا كانت معتزلة الصّلاة , فإذا طهُرت أقبلت على الصّلاة والقرآن وقراءة الكتب [18] . وبذا عُرِفت العبّاسة أخت الرّشيد – كأخيها الرّشيد – بدينها وخُلقها ومن ذلك كانت تعدل بكثير من أفاضل الرّجال في فضل العقل وحُسن المقال ولها شعر رائع . وكانت تقول : لا غفر الله لي فاحشة ارتكبتها قط ولا أقول في شعري عبثا [19] . وبذا فقد بان تناقض هذه القصّة , وتأكّد عدم صحتها من جهة النّقل والعقل , وإنّما ثبت بالتّواتر على حُسن خُلق هارون الرّشيد وتقواه وصلاحه , فحاشا الله أن يأمر النّاس بالبِرّ ويأتي بضده في أهله , فضلا على ما كانت عليه العبّاسة – المُفْترى عليها – من

الصّلاح والفلاح فقد قالت : ما حرّم الله شيئا إلا قد جعل فيما حلّ منه عِوضا فبأي شيء يحتجّ عاصيه المُنتهك لحُرماته [20] .

كما افترى أهل الزّور على الخليفة الرّشيد شُرب المُسكِر ومُعاقرة الخمر , في مجالسه وأوقات مُنادمته . وقد تولّى أبو فرج الأصفهاني كِبر هذه الفرية , وأفاض في ذكر مجالس الخمر الّتي يحضرها الرّشيد , وشحن كتابه { الأغاني } بالمزاعم والاتهامات الباطلة , ويعيب صاحب الأغاني على الرّشيد والعيب فيه بدليل فتاوى علماء الجرح والتّعديل , وهو عندهم متّهم ومجروح , قال عنه الحافظ الذّهبي في ميزان الاعتدال في نقد الرّجال : يأتي بأعاجيب بحدّثنا وأخبرنا , وكتب ما لا يُوصف كثرة حتّى اتُّهم .

وتواترت أقوال العلماء في تجريح الأصفهاني ، فأكّد أبو محمد الحسن بن الحسين النوبختي حكم الذّهبي فقال : كان أبو فرج الأصفهاني من أكذب النّاس , يأتي بالرّواية بلا سند مكتفيا بعبارة : حُكي , ورُوي , وقيل , وحدّثنا [21] . وبذا فقد ثبت بطلان ما حواه كتابه { الأغاني } من مزاعم حول الرّشيد ومفتريات .

قال ابن خلدون : وقد ألّف القاضي أبو فرج الأصفهاني , وهو ما هو , كتابه في الأغاني , جمع فيه أخبار العرب وأشعارهم وأيّامهم ودولهم [22] . وحري بكتاب باسم الأغاني – والاسم يتخلّل المُسمّى - أن يختصر على اسمه لا يتعداه ولا يتجاوزه .

ومن الضّوابط والمعايير المعتبرة في الحكم على هؤلاء المُؤرِّخين , حسن الزّي وجمال الهندام , إذ أنّ ذلك دليل على نقاء الباطن وطهارته , فكانت أقوال أبو فرج الأصفهاني – في اتّهام هارون الرّشيد أشبه بما كان عليه من ثياب , وقد عُرِف صاحب الأغاني بإ تساخ جسمه وملابسه ونعله بصورة تأباها النّفس وتقشعرّ منها الجلود , علما بأنّ المظهر عنوان المخبر , قال ياقوت الحموي : كان وسخا في نفسه , ثمّ في ثوبه , ونعله , حتّى أنّه لم يكن ينزع دُرّاعة إلاّ بعد بلائها وتقطيعها , ولا يعرف لشيء من ثيابه غسلا [23] . علاوة على ما قد ثبت عن نسبته للأمويين ومُتشّيع [24] . فلا يُستبعد إذا دسّه لتلك الرّوايات والحكايات الكاذبة من حيث يدري , مدفوعا بنقمته على العبّاسيين , مثله كأي أموي يندب حظّه ، وينعي ملكه الزّائل .

وبذا فعلى أبي فرج الأصفهاني يقع العبء الأكبر , وهو من يتحمّل وزر هذه الفرية من أهل الزّور , ويتحمّل وزر كلّ من خاض فيها وتتبّع أثره من بعده بالطّعن في الرّشيد من أرباب الزّور القدامى منهم والمُحدّثين , ومن اتّهمه منهم بشرب الخمر , استنادا على رواياته المُنقطعة السّند , وفي اعتماده على الأسلوب الرّوائي القصصي .

وتواصل أرباب الزّور في كيل الاتهامات واختلاق الأكاذيب حول الرّشيد فاتّهموه بالانهماك في الغناء والانشغال بمجالس الطّرب , إذ فكيف يكتظّ قصر الرّشيد بعشاق الهوى ويخلو من أهل العلم والذّكر ؟؟ . فمن الواضح من هذه الفرية أنّ المراد بها الطّعن في شخص هارون الرّشيد بوسائل متعدِّدة بغرض تضخيم الهجمة ضِدّه , بينما غضّوا الطّرف تماما عن جوانب الرّشيد المُشرقة , ومظاهر الصّلاح والفلاح المُتمثِّلة في عمق التّدين الّذي اكتسى به الرّشيد , وازّدان به قصره ومجالسه , وقد عرفنا أنّ حلقات الذّكر وتلاوة القرآن كانت تضفي على قصره زينة وجمالا , بدليل ما ورد عن حياة زوجته زبيدة الخاصّة حيث كان عندها مائة جارية يقرأن القرآن يُسمع لهنّ في قصره دوي كدويّ النّحل من القراءة [25] .

وكان هارون الرّشيد يُعدّ من أهل الورع الأتقياء , فقد برمج لحياته اليومية برنامجا بحيث تُحسب أي لحظة من عمره في ميزان حسناته , بدليل أنّه كان يُصلِّي في كلّ يوم مائة ركعة تطوعا , وهي تستغرق معظم ليله , فمن أين له بالوقت – أزاء ذلك – كي يسمر في مجالس الغناء ؟؟

ونجده قد قسّم الأيّام واللّيالي على سبع ليال : ليلة للوزراء , وليلة للكتّاب , وليلة للقوّاد وأمراء الأجناد , وليلة للعلماء والفقهاء , وليلة للقراءّ والعُبّاد , وليلة لنسائه وأهله ولذّاته , وليلة يخلو فيها بنفسه [25]

فأين إذا للرّشيد – من بعد كلّ ذلك – وقتا يستمع فيه للغناء ؟؟ , وقد انتظمت أيّامه وفق هذا البرنامج المُنظّم ؟؟ ومن هنا يتأكّد لنا حقيقة الرّجل وبطلان المُفتريات المزعومة عليه . والحقّ يُقال أنّ من عمّر قلبه بالطّاعات , وملأ ليله بالصّلوات , بمثل تعبّد الرّشيد وطاعته لربّه , فهيهات هيهات أن يقارف معصية أو يأتي مُنكرا , فصلاته تنهاه وتحميه .

وفي زعم آخر جمع المُؤرِّخون القُدامى بين شمائل الرّشيد , وجلائل مكارمه , وأنّه يُصلي مائة ركعة نافلة , ويحجُّ عاما ويغزُو عاما ..... وبين سيل الاتّهامات الجارف من الرّوايات غير الصّحيحة , وإنّهم بذلك أتاحوا المجال لمن هبّ ودبّ من كُتاب العصر لئن يشيعوا القول بجنوح الرّشيد بعاطفته إلى الجدِّ حينا ثمّ يمضي في اللّهو , ويبكي من الوعظ ويطرب للغناء , فيجمع في حياته بين المُتناقضات .

وجاء أحمد أمين يُصوِّر لنا هارون الرّشيد ذو شخصية مزدّوجة , بحيث يجمع بين الفضيلة والرّذيلة في آن واحد , فبينما يتصوّره يُصلّي الصّلاة في أوقاتها ينسب إليه – في الوقت ذاته – ارتكاب المُوبقات والكبائر , حتّى تضعف إرادته لدرجة أنّ طاعته – على كثرتها – لم تمنعه من اقتراف الفحشاء والمُنكر [27] .

ولئن كانت عاطفة الرّشيد قد غلبت عليه – حسب زعم أحمد أمين – لهذا الحدّ , فإنّا نُنزِّه هارون الرّشيد عن ذلك , ونقول بأنّه صاحب نفس غلب عليها الإيمان , لأنّ شدّة العاطفة دليل على رقّة النّفس , وصفاء القلب , والّذي طالما جلاّه بكثرة الذّكر والصّلاة والقيام , حتّى غدا هارون فارسا بالنّهار , وعابدا متبتّلا بالليل , ولا شكّ أنّ رقّة نفس كهذه نعمة يغبطه عليها الغابطون , وجمال يحسده عليها الحاسدون .

ومن أنصع الصُّور الّتي تبيّن روح التّدين في شخصيّة الرّشيد , وما كان عليه من الاعتقاد في حبّه للموت وكراهيته للحياة ما صدر منه لحظة وفاته من قوّة الإيمان وبيان حقيقة حسن الخاتمة , مات الرّشيد في الغزو بطوس من خراسان شهيدا مجاهدا في سبيل الله , ورأى مناما أنّه يموت بطوس , فبكى وقال : احفروا لي قبرا , فحُفِر له وسيق حتّى نظر إليه فقال : يا ابن آدم تصير إلى هذا ؟؟ , وأمر قوما فنزلوا فختموا فيه ختمة , وهو في محفّة على شفير القبر[28] .

أسباب هذه الافتراءات :

الواضح أنّ هارون ما كان مقصودا في شخصه بهذه التّهم فحسب , بل إنّما المُراد بذلك حضارة الإسلام الّتي بلغت في أيّام الرّشيد عصرها الذّهبي , حتّى وصلت أعلى قمة في التّاريخ الحضاري حينذاك . كما قُصِد هارون الرّشيد بهذه الطُّعون لما تميّزت به حياته الزّاخرة من الإعجازات الخارقة والإنجازات الباهرة , فهو الّذي كسر جيوش الرّوم وهزمهم مرات , وبوصفه أعظم الخلفاء العبّاسيين سيرة وسريرة , وأكثرهم غزوا وحجّا , بل أنشطهم طاعة لله وصدقة وقياما , فلاشكّ إذن أن تنوشه سهام الزّور , وتوجّه إليه الاتّهامات والافتراءات .

وقال د. مجاهد بهجت : وتعكس المصادر الأدبية والتّاريخية صورة تبالغ في لهوه وعبثه وطربه , ولعل أسباب كثيرة دفعت الرُّواة إليه , فالشيعة موتورون من قِبله ولذلك غضُّوا عن محامده وأبرزوا نقائصه , والفرس انحازوا ضِدّه لنكبة البرامكة [29] .

ويُعقِّب د.أحمد مختار العبّادي فيما قِيل في رواية العبّاسة ودوافع ذلك بقوله : ..... هذا مُلخّص قصّة العبّاسة الّتي يظهر فيها الخيال والاختراع , وواضح أنّ القصد منها الحطُّ من مكانة الرّشيد وطعنه في كرامته وعرضه , ولاشكّ أنّها من صُنع الشّعوبية والفارسيّة , الّتي أرادت الإنتِّقام من الخليفة الهاشمي العربي الّذي أوقع بالبرامكة العجم , ولاشكّ أنّ الرّشيد لا يُمكن أن يُطعن في رجولته ومروءته بِمثل هذه الصُّورة المُزرية الّتي تصوِّره يجمع بين أخته وجعفر بزواج صُوري [30] .

وفوق هذا كلِّه لا يفوت علينا مساعي الكنيسة الأُوربية [31] في تشويه سيرة هارون الرّشيد , لأنّه هو الخليفة الإسلامي الّذي سقى جيوش البيزنطينيين كؤوس الهزيمة والهوان , وأجبرهم على دفع الجزية على كلِّ نفس في دولتهم الكُبرى , بما فيهم الإمبراطور وأفراد أُسرته , ورجال بلاطه , والكنيسة بكهنتها وأربابها .

الخاتمة

بعد هذا العرض يستقيم القول بأن هارون الرشيد شخصية من اميز خلفاء بني العباس ، واكثرهم ورعا وتقوى واجتهادا في العبادة . قصده الأعداء واتهموه بالزور ، ووجهوا إليه الادعاءات الباطلة والافتراءات المزعومة ، فاخذوا عليه مالم يقله ونسبوا إليه ما لم يفعله!!

كل ذلك بقصد تشويه سيرته الناصعة بوصفه اعظم الخلفاء العباسيين سيرة وسريرة . ومن هنا جاء اهتمام كوكبة العلماء _ ممن تسارعوا لنصرة الرشيد ودفع الاذى عنه _ واثبات كذب وزيف رويات الزور التي حيكت حول هارون الرشيد وانه لا أصل لها ، اعتمادا على ذمة الراوي بقوله : حكي .. وروي .. وقيل من دون اثبات سند الرواية ، وبذا بطلت تلك الروايات وبطل مضمونها .

وفي ختام هذه الدراسة اورد موجزا لابرز النتائج والتوصيات التي توصلت إليها .

-كان هارون الرّشيد أميز الخلفاء في دولة بني العبّاس , وأكثرهم ورعا وتقوى , واجتهادا في العبادة والأعمال الصّالحة , بل أجلّ ملوك الدُّنيا .

-جمع هارون الرّشيد - في حياته – بين الغزو والحجِّ جمعا فاق فيه من سبقه من الخلفاء وعجز أن يدركه أحد من بعده .

-لو كانت للرّشيد بعض السّلبيات الّتي حُسبت عليه فإنّها - لاشكّ – تذوب في خضم بحر إيجابياته الزّاخر .

-كثرة الإفتراءات على الرّشيد والطّعن فيه دليل على ما كان عليه من العِزّ والهيبة في قلوب أعدائه , ولهذا تكالبت عليه أقلام العِدا بُغية إطفاء أنوار المجد , ومشاعل العلم والحضارة الّتي وضع بذورها بيده .

- بطلان رواية زواج الرّشيد أختَه العبّاسة لجعفر البرمكي , فما اعتمد عليه الطّبري في سند الرّواية أفاد الحافظ الذّهبي بأنّهما لا يُعرفان والقصّة لا تصح .

-رد التُّهمة بمُعاقرة الخليفة هارون الرّشيد للخمر , نسبة لاعتماد أبو

فـرج الأصفهانـي في رواياتـه عـن هـذه الفريـة في كتـاب الأغانـي عـلى حُكـي .. ورُوي .. وقِيـل مـن دون سـند الرِّوايـة , وبـذا بطلـت كلّ تلـك الرِّوايـات وبطـل مضمونهـا .

-عـاش الرّشـيد معمِّـرا للأوقـات بالعِبـادة يغـزو عامـا ويحـجُّ عامـا ، بـذا صـارت واجباتـه أكثـر مـن أوقاتـه , وليـس لديـه وقتـا لسـماع الغنـاء , وحضـور مجالـس اللّهـو كمـا زُعِـم .

التوصيات :

- التأكيـد عـلى دراسـة حيـاة الخليفـة هـارون الرشـيد ، واظهـار جوانـب القـوة والعظمةالتـي امتـاز بهـا .
- تشـجيع طـلاب البحـث والدراسـات لتنـاول شـخصيات ومشـاهير قـادة الدولـة الاسـلامية .
- ضرورة ان تتبنـى تلـك الدراسـات ضوابـط تهـدف الى ازالـة الغمـوض عـن اعـلام قـادة المسـلمين وبيـان وجـه الحـق والحقيقـة في حياتهـم .
- الحـث عـلى تلقـي علـوم الحديـث ودراسـتها وبيـان اهميتهـا في انهـا منظـار العـدل للروايـات التاريخيـة وتعديلهـا .
- الدعـوة الى اعـادة كتابـة التاريـخ الاسـلامي لبعـض الشـخصيات الاسـلامية _ هـارون الرشـيد نموذجـا _ بعـد التعديـل والجـرح ودحـض الافـتراءات والمزاعـم الباطلـة .

المصادر والمراجع:

(1) تاريخ الطبري 8/294 .
(2) الكامل في التاريخ 5/327 حوادث سنة سبع وثمانين ومائة .
(3) البداية والنهاية 10/196 .
(4) د. أبراهيم علي شعوط – أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ ص : 352 .
(5) الأغاني 9/ 4-6 .
(6) نفس المصدر 5/196 .
(7) قصة الحضارة 13-14 : 91 .
(8) شعوط مرجع سابق ص : 352 .
(9) مصدر سابق 5/198 .
(10) نفس المصدر19/246 .
(11) قصّة الحضارة / المجلد والصفحة السابقة .
(12) تاريخ الطبري 8/347 .
(13) الكامل في التاريخ 5/356 .
(14) نفس المصدر5/327 .
(15) تاريخ الطبري 1/8 .
(16) سير أعلام النبلاء 9/66 (هامش 2) .
(17) البداية والنهاية 10/196 .
(18) عمر رضا كحالة /أعلام النساء 3/335 .
(19) نفس المصدر3/334 .
(20) نفس المصدر 3/335 .
(21) الحافظ الذهبي / ميزان الاعتدال في نقد الرجال 3/123 .
(22) المقدمة 4/1268 .
(23) معجم الأدباء 4/54 .
(24) الحافظ الذهبي / ميزان الاعتدال 3/121 .
(25) أنظر : رضا كحالة / أعلام النساء 2/26 .
(26) ابن قتيبية / الإمامة والسياسة ص: 156 .
(27) أنظر ضحى الإسلام 1/111–112–115, مكتبة النهضة المصرية, ط1, بيروت.
(28) أنظر تاريخ الطبري 8/342 . وتاريخ الذهبي : حوادث 191 200- .
(29) التيار الإسلامي ص: 67 .
(30) في التاريخ العباسي والفاطمي ص : 86 .
(31) وقد زرعتها الجامعة الأمريكية في بيروت 1908م كمؤسسة تبشيرية مسيحية من أجل بث الديانة المسيحية بين أرجاء الوطن الإسلامي , وتشكيلهم حسب رغبات التوجه التبشيري المسيحي .
(32) عبدالكريم باز / افتراءات فيليب حتي وكارل بروكلمان عل التاريخ الإسلامي ص : 29

المصادر والمراجع :

(1) ابـن قتيبيـة (أبـو محمـد عبداللـه بـن سـالم) ت276 ه، الإمامـة والسياسـة، تحقيـق : د. طـه الزينـي , مؤسسـة الحلبـي، القاهـرة 1967 م .
(2) ابن كثير (أبو الفداء عماد الدين إسماعيل الدمشقي) ت774 ه .
(3) الطـبري (أبـو جعفـر محمـد بـن جريـر) ت 310 ه , تاريـخ الأمـم والملـوك ... , تحقيـق : محمـد أبـو الفضـل إبراهيـم , ط 3 , دار المعـارف، القاهـرة .
(4) الأصفهانـي (أبـو فـرج عـلي بـن حسـين) ت 360 ه ،الأغانـي ، عزالديـن للطباعـة والنـشر , مطبعـة الثقافـة , بـيروت , 1957 م .
(5) الذهبـي (شـمس الديـن محمـد بـن أحمـد بـن عثمـان) ت 748 ه , ميـزان الاعتـدال في نقـد الرجـال ، تحقيـق : محمـد البجـاوي , دار المعرفـة , بـيروت .
(6) السـيوطي (جـلال الديـن عبدالرحمـن بـن أبـي بكـر) ت 911 ه ،تاريـخ الخلفاء ، تحقيـق : أحمـد إبراهيـم زهـوة و سـعيد أحمـد العيـدروس , دار الكتـاب العربي ، ط 1 , 1419 ه1999- م .
(7) ابـن الأثـير (عزالديـن أبوالحسـن عـلي بـن محمـد) ت 630 ه ، الكامـل في التاريـخ, راجعـه : د. محمـد يوسـف الدقـاق , دار الكتـب العلميـة , بـيروت , 1418 ه- 1998 م
(8) عمـر رضـا كحالـة ، أعـلام النسـاء في عالمـي العـرب والإسـلام ، مؤسسـة الرسـالة, بـيروت .

المراجع الحديثة :

(9) إبراهيـم عـلي شـعوط , أباطيـل يجـب أن تمحـى مـن التاريـخ ،دار الـشروق،ط1، 1983 م .
(10) أحمد أمين ، ضحى الإسلام , مكتبة النهضة المصرية , ط (10) , 1984م .
(11) د. أحمـد مختـار العبـادي , في تاريـخ المغـرب والأندلـس , مؤسسـة الثقافـة ، الجامعـة الأسـكندرية .

المراجع المعرّبة :

(12) غوسـتاف لوبـون ، حضـارة العـرب ، نقلـه إلى العربيـة : عـادل زعيتر،مطبعة عيـسى البابي الحلبـي وشركاه .
(13) ول ديورانـت ، قصـة الحضـارة , ترجمـه : محمـد بـدران ، دار الجيـل، بـيروت،1408 ه1988-م.
(14) فيليـب حتـي , تاريـخ العـرب المطّـول ، ترجمـة : إنيـس فريحـة ، دارالثقافة، ط ا ، 1969م